الفصـــل الثاني

من قال لا إلـه إلا الله
دخـل الجنة
وإن زنى وإن سرق

obeikandl.com

obeikandl.com

من قال لا إله إلا الله
دخـــل الجـنة
وإن زنـى وإن سرق

(حديث شريف)

إن الرسول يضع حدا فاصلاً بين من آمن بوحدانية الخالق ومن كفر بتلك الوحدانية، وإلا فماذا يكون الفرق بين من قال: لا إله إلا الله واعتقدها وآمن بها، وبين من لم يقلها ولم يعتقد بها أو يؤمن بها؟ فمن آمن بأن لا إله إلا الله - مهما ارتكب من جرائم - فإن الله غفور رحيم؛ لأن كل جريمة جرمها الله وضع لها عقوبتها، وهذا دليل على أنها يمكن أن تحدث.

الشيخ الشعراوي

obeikandl.com

obeikandl.com

عالمية الإسلام

لما كان المسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس فى الأرض منذ خلقها الله، وكان هو منطلق الدعوة الإسلامية وكل إقامة رسول الله ﷺ، فقد كان من المنطقى أن يبدأ الله إسراءه بعبده منه، ولكن لماذا كان منتهى الإسراء وبداية المعراج من المسجد الأقصى؟ وهل كان المسجد الأقصى مسجدًا بالمعنى المفهوم الآن؟

ـ لقد جاء «السجود» فى كل رسالات السماء إلى الأرض، وقد كان يستعمل كوصف اشتقاقى على مكان السجود، وأصبح فى الإسلام علمًا على المكان الخاص بالسجود، وقد استخدام المسجد الأقصى كمسجد قبل الإسلام؛ بدليل قول الحق لمريم: ﴿**يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

وفى قصة أهل الكهف يقول الحق فيما يرويه عن الذين عاصروهم: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً**﴾ [الكهف: ٢١]، فكلمة «المسجد» لم تأتِ مع الإسلام، بل هى موجودة فى الرسالات

السابقة، وكل مكان يسجد فيه يكون مسجدًا. كما شاع استخدام الكلمة فى الإسلام فى الأماكن محل الصلاة والسجود، ولأن المسجد الأقصى له قدسية مع موسى وعيسى وأنبياء بنى إسرائيل، فإن إسراء الله بعبده «محمد» له دلالة على أن الإسلام يشمل جميع الأديان السابقة ويهيمن عليها مكملاً لها ومتمِّمًا، وهو دين للناس جميعًا كآخر رسالات الحق إلى البشر إلى يوم القيامة.

فهو دين لا يخص العرب فقط، بل هو دين عالمى، فجاء حدث الإسراء إلى بيت المقدس ليؤكد هذه الحقيقة، وليدخل بيت المقدس ضمن مقدسات الدين الإسلامى الجديد، كدليل على أن الإسلام يمتد إلى كل مكان وكل المقدسات، ومنها المسجد الأقصى، لذلك كانت دلالة توجيه الله لرسوله والمسلمين بأن يتوجهوا إلى المسجد الأقصى ليكون قبلتهم الأولى؛ تأكيدًا على أن الإسلام ليس دين قريش فقط الذين بعث فيهم «محمد». صحيح أن الإسلام جاء فى مكة لكنه مهيمن على سائر الأديان، وكتابه القرآن مهيمن على سائر الكتب السماوية، ورسوله مهيمن على كل الرسل والأنبياء قبله، ولذلك كانت البشرى به فى التوراة والإنجيل والزبور تطلب من أصحاب هذه الكتب أن يؤمنوا به وبدين الإسلام الذى بعثه الله ليمتد بنوره إلى كل الدنيا، وكل المقدسات المرتبطة بأديان السماء، فكان المسجد الأقصى هو الرمز

الذى يؤكد هذا المعنى حينما جعله الحق منتهى مسرى رسوله وبداية معراجه ﷺ، كما جمع الحق أنبياءه ورسله السابقين ليلتقوا بمحمد تأكيدًا على أن رسول الإسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جعله الله إمامًا لهم فى الصلاة بالمسجد الأقصى.

***

obeikandl.com

قدسية الصلاة

*** كيف صلى الرسول إمامًا بالأنبياء والمرسلين رغم أن الصلاة لم تفرض عليه إلا بعد المعراج؟**

ـ الصلاة موجودة مع كل رسول وعند اتباع كل رسول، ولكن الصلاة بشكلها الإسلامى النهائى هى التى فرضها الله على رسوله وأمة رسوله لتجتمع فيها كل مزايا صلوات أمم الرسل السابقين، وآيات القرآن تدل على وجود الصلاة قبل الإسلام وإن اختلف شكلها، فيقول الحق لإبراهيم عليه السلام: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج: ٢٦] ويقول الحق على لسان خليله إبراهيم عليه السلام أيضًا: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧] ، فكأن هناك صلاة عند الأمم السابقة، فيكون مفهومًا إذن أن الرسول صلى بالرسل والأنبياء فى المسجد الأقصى صلاة علمها الله له، وإن لم تشبه الصلاة الإسلامية التى فرضها الله على أمته فى نهاية رحلة المعراج.

* لماذا لم يكن للصلاة عذر فى عدم أدائها كبقية الفروض؟

ـ فى أى حال كنت فى هجرة أو حرب فلابد من الصلاة، وتقصرونها لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾ [النساء: ١٠١] وعدم استثناء الله للصلاة بأى عذر من الأعذار دليل على قدسيتها التى لا يعدلها أهميةً أى ركن من الأركان الخمسة؛ لأنها تضم كل الأركان الخمسة، ففيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والصوم وإن كان هو الامتناع عن شهوتى الفرج والبطن فإنه ليس مانعًا لك عن الكلام والحركة والجرى، فيكون معنى الصيام فى الصلاة أكبر وأوسع، وإذا كانت الزكاة هى استقطاع جزء من مالك الذى حصلت عليه نتيجة الوقت الذى بذلت فيه عملا وجهدا، فإنك فى الصلاة تستقطع جزءًا من وقت العمل لتؤديها، فتكون قد زكيت بالأصل، وفى الصلاة حج أيضًا؛ لأنك تتجه بوجهك نحو الكعبة. لكل هذه الميزات اختلفت الصلاة عن بقية الأركان فى منزلتها، فلم تفرض بواسطة الوحى، بل بالمباشرة بين رب محمد ومحمد، فلا يوجد أى شىء يمكن أن يشغلكم عن الصلاة؛ حتى فى السفر والحرب، فأنتم أحوج ما تكونون فيها إلى الالتحام مع ربكم من أى وقت آخر، وليس عليكم حرج أن

تقصروا الصلاة، حتى لا تدعوا فرصة للعدو أن يتمكن منكم، وبدلا من أن تكون الصلاة أربع ركعات اجعلوها اثنتين، وبدلاً من أن تكون ثلاث ركعات اجعلوها ركعتين، ولو كانت ركعتين فهى ركعتان ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**﴾ [النساء: ١٠٢] فالطائفة الأولى التى صلَّتْ مع النبى قال لهم الله: خذوا أسلحتكم، أما الطائفة الثانية فقال لهم: خذوا أسلحتكم وحذركم؛ لأن الطائفة التى لم تصلِ بعد ستكون مشغولة بعملها للحراسة ومشغولة بنفسها وذواتها للصلاة مع النبى، فيقول الله لهم: خذوا حذركم وأسلحتكم. والأسلحة شىء مادى يمكن أخذه، ولكن كيف يؤخذ الحذر وهو عملية معنوية؟ إن الحق يجسم المعنويات كماديات؛ حتى لا نغفل عنها، فيقول: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ**﴾ [الحشر: ٩] فالدار مكان يُتبوأ، ولكن كيف يتبوأ الإيمان؟ يكون فلأن الإيمان المرجع إليه كله؛ فقد جعله الله كأنه مكان يتبوأ لنتخيله شيئًا مجسمًا لا تغفل عنه أبدًا. ﴿**وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ**﴾ [النساء: ١٠٢] والغفلة هى نسيان طارئ لما لا يستحق أن ينسى، فالخوف أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم؛ لأن فى فقدها قوة

لأعدائكم ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢] أى هجمة واحدة فتقصر المعركة ولا تطول، ثم يقول الحق: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] كررها الحق كثيرًا، ولكن إذا كنت تأخذ بالأسباب «الحذر» فلا تغفل عن المسبب ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢] ويقول الحق: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣] فالله ينبه المؤمنين أن يذكروا الله فى كل حال وعلى كل حال. فإذا كنتم فى حالة الاشتباك مع العدو، وجاء وقت الصلاة؛ فاذكروا الله: «سُبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله». وقد تكون حالة الاشتباك مع العدو عذرًا كافيًا، ولكن الفقهاء قالوا: يجب أن تشعر قلبك ونفسك أنك فى وقت لقائك مع ربك وأنت أحوج ما تكون إليه ولا تحرم نفسك من تجليات وجه الله. وقد يقول البعض لننتظر بعض الوقت لنخلص مما فى أيدينا، ولكن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا، فالظهر موقوت إلى العصر مثلاً، ولكن هل تضمن لنفسك أن تعيش إلى العصر؟ «إنك يجب أن تصلى الصلاة فى موعدها وتترك ما بيدك؛ لأن

كل عمل مع الأذان باطل».

*** ما المرادات الإلهية من اجتماع المصلين فى المسجد فى كل صلاة؟**

ـ مع خلع المصلين لأحذيتهم فإنهم يخلعون أقذارهم خارج المسجد مع نعالهم، فمن له رئيس «متعنطز» عليه ويجده معه فى نفس المسجد يتقرب إلى الله، فإنه يرتاح نفسيا أنه تساوى معه أمام الله، فهى لحظة استطراق عبودية، حتى لو لم نجتمع كل يوم، فإن الحق يأتى بنا جميعًا يوم الجمعة؛ ليتم هذا الاجتماع الذى ليس فيه أحد رئيسًا لأحد، وإنما كلنا أمام الحق سواء.

ورغم أن الحق قد خلق الكون وسخره لنا، فإننا نستطيع أن نقابله فى أى وقت بالصلاة، ولكنك عندما تريد أن تقابل شخصية كبيرة ذات منصب كبير، فإنك تبعث إليه التماسًا لينظر فيه، إما أن يوافق عليه وإما لا يوافق، وإذا وافق عليه يسألونك ما هو الموضوع الذى تريد أن تتحدث فيه، وتكون المقابلة كذا دقيقة، ولو أطلت الحديث يقف الشخص الذى أنت قابلته بما معناه أن المقابلة انتهت.

إنما ربنا يقول لنا: قابلونى فى أى وقت وفى أى مكان، ولن أملَّ حتى تملُّوا، وأنتم يا عبادى تنهون المقابلة كما تريدون.

والشاعر يقول:

حسبُ نفسى عزا بأني عبدٌ يحتفي به بلا مواعيد ربي

هو في قدسه الأعز يلاقي لكنى ألقاه متي وأين أحب

لذلك تجد الصلاة فيها كل فضائل الدين والمجتمع، لذا دعانا الحق إلى المحافظة على الصلاة، وأعفانا من كل الفرائض زكاة وحجا وصيامًا إذا لم نكن قادرين عليها، ما عدا الصلاة، فلا عذر فى عدم أدائها، فإن لم تستطع الصلاة قائمًا فلتصل جالسًا، وإن لم تستطع فلتصل مضطجعًا أو نائمًا، وتجرى طقوس الصلاة على شفتيك وجوارحك.

*** لماذا للصلاة كل هذه الأهمية؟**

ـ هذه الأهمية للصلاة؛ لأنها تضمن كل الفرائض الخمس كما ذكرت لك، ثم إنها هى الصلة اليومية بين العبد وربه فى اليوم خمس مرات، ولهذه الأهمية التى للصلاة لم يفرضها الحق إلا من فوق سبع سموات ليلة الإسراء والمعراج؛ لأن كل الفروض أوحى الله بها إلى رسوله ﷺ عن طريق الوحى بواسطة جبريل - عليه السلام - ما عدا الصلاة التى استدعى من أجلها الحق رسوله كهدية إلى أمة محمد إلى يوم القيامة، لذلك أوضح الرسول أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة هى الصلاة، فإذا

صلحت صلح باقى عمله، وإذا فسدت فسد باقى عمله؛ لأنه مع عدم قدرتك على أداء بقية الفروض ـ كأن تكون مريضًا غير قادر على الصيام، أو فقيرًا غير مستطيع الزكاة أو الحج ـ فإنه لا يتبقى لك كمسلم إلا الصلاة، وإلا لو لم تُصل فماذا بقى من مظاهر إسلامك واتصالك بربك؟ لا يوجد إلا الصلاة التى هى الفارق بين المسلمين وغيرهم ممن لا دين لهم، فمن أقامها أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين.

*** هل معنى ذلك أن المسلم بالاسم فقط دون أن يؤدى ما أمره الله ـ تعالى ـ به خاصة الصلاة، يكون متساويًا فى جزائه مع الكافر؟**

ـ يقول الشيخ الشعراوى: حينما يقول الحق: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]، وعندما يقول الرسول ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»، فإن الله ورسوله قد استثنيا من رحمة الله وغفرانه من أشرك بالله.. لماذا؟ لأن هذه مسألة تعدت إلى مرتبة الخيانة العظمى، وهى الشرك بالله، وهذه أخذناها من القوانين الوضعية التى لا يكتبها واضعوها بنية تأكيد قضايا دينية أو إثباتها، ولكن غفلتهم تؤكد القضايا الدينية، فنرى أن واحدًا قام بحركة، وأراد آخر أن ينقلب عليه، فيسمون هذه «خيانة عظمى». إنما لو كان

«بيهلب» أو يقوم «بتزوير»، أو «يسرق»، يمكنهم أن يتغاضوا عنه، ولكن عندما يقوم بعمل يتعارض مع السيادة يقطعون رقبته، كذلك ـ مع فارق المقارنة ـ الإيمان بأنه لا إله إلا الله، هو أصل العقيدة الإيمانية، ومن أنكرها أو تعداها فقد انتهى أمره بالنسبة إلى الله ودخل دائرة الشرك التى لا غفران لها أبدًا؛ لأن الذى يريده الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هو أن يعرف الإنسان أن الله هو الواحد الأحد الذى لا شريك له،وذلك هو أساس العقيدة الإيمانية، «الوحدانية» التى هى حصن الإيمان، مما يوضحه الحديث القدسى الذى يقول فيه الحق: «لا إله إلا الله حصنى، ومن دخل حصنى أمن عذابى».

ويقول ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة». وكان أبو ذر الغفارى حاضرًا، فقال: «وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟» فيقول ﷺ: «وإن زنى وإن سرق». فيعيد أبو ذر سؤاله للرسول ﷺ متعجبًا: «وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟!» والرسول يؤكد له ما قاله. ولما كرر أبو ذر سؤاله للمرة الثالثة، قال له ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، رغم أنف أبى ذر».

والحقيقة أن «أبا ذر» لا يؤذيه ذلك ولا يحزنه، ولكن القضية عنده هى «الغيرة الإيمانية»، لهذا حينما كان «أبو ذر» يروى هذا

الحديث يقول: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، رغم أنف أبى ذر» ويشير إلى نفسه.

***

obeikandl.com

فلسفة هذا الحديث النبوي الشريف

إن الرسول يضع حدا فاصلاً بين من آمن بوحدانية الخالق من كفر بتلك الوحدانية، وإلا فماذا يكون الفرق بين من قال «لا إله إلا الله» واعتقدها وآمن بها، وبين من لم يقلها ولم يعتقد بها ولم يؤمن بها؟

فمن آمن بأن لا إله إلا الله، مهما ارتكب من جرائم، فإن الله غفور رحيم؛ لأن كل جريمة جرمها الله ووضع لها عقوبة. وهذا دليل على أنها يمكن أن تحدث، فعندما يقول: «اقطعوا يد السارق وارجموا الزانى» فهذا معناه أن الله أجاز أنه من الممكن للمؤمن أن تأخذه الغفلة ويرتكب مثل هذه الجرائم، لذلك يقول رسول الله ﷺ: «لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزنى وهو مؤمن»، ولكنها غفلة عن الإيمان تجعل المؤمن ينحرف إلى المعصية وارتكاب المحرمات.

لذلك فإن الله يفتح باب التوبة، فيقول ﷺ: «الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما». إنها فرص هائلة

«وأوكازيونات» متعددة للتوبة والاستغفار، وهذا من رحمة الله؛ لأنه لو كان الله يأخذ العاصى بأول ذنب يرتكبه ويقفل باب التوبة عنه، فماذا سيكون الحال؟

سيتحول العاصى إلى ما يسمونه «فاقد»، يطلق نفسه لارتكاب الجرائم، واقتراف المحرمات، مما يفزع المجتمع ويقلقه، ولكن لما ربنا يفتح أبواب التوبة ويوسع منافذها، فهو بذلك يكون رحيمًا بالعاصى، ورحيمًا بالمجتمع؛ لأنه ينقذ العاصى من مستنقع المعصية، ويفتح باب الأمل دائمًا أمام كل مذنب أو عاصٍ.

يقول ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسىء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

كما فتح الحق باب التوبة حتى نهاية أجل كل إنسان من الدنيا، فيقول ﷺ: «إن الله - عز وجل - يقبل توبة العبد ما لم يغزغر». أى أن توبة العبد مقبولة حتى قبيل خروج روحه، إذن فكل ذنب مغفور بتوبة العبد إلا الشرك بالله فلا مغفرة له؛ لأنه كما حكم الحق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ** ﴾ [النساء: ٤٨].

وعندما يقول الحق لنا: «أشهد أنه لا إله إلا أنا» فهذه قضية

ليست لصالحه، إنما لصالحكم أنتم؛ حتى لا تتعدد الآلهة من البشر فيخضعك كل قوى لسلطانه. ولكن الله يقول لك: اخضع لواحد فقط يكفيك كل الخضوع لأى أحد؛ لأنك إن آمنت بوحدانية الله، فالإيمان يعلمك العزة، وبدل أن تنحنى لكل ذى قوة، اجعل ظهرك مسنودًا بـ «لا إله إلا الله»، فهذه الوحدانية لمصلحة البشر لا لمصلحة الحق؛ لأن الله لا يريد من خلقه شيئا؛ فهو غنى عنهم.

فقد خلق الكون كله بصفات قدرته وكماله، فلم تنشأ له صفة بوجود البشر، وإنما هو الذى أوجدهم بصفات كماله وقدرته، لذلك فليكن اتجاهك لوجه واحد يكفيك كل الأوجه، واتجاهك إلى إله واحد يكفيك كل المتألهين من البشر.

فعندما يطلب الله من عباده المؤمنين أن يجتمعوا كل أسبوع مرة لصلاة الجمعة، فهو يريد لزوم الاجتماع.. لماذا؟ لأنك قد تصلى فرضًا فى مزرعتك أو مصنعك أو بيتك أو فى مكتبك أو مدرستك أو فى أى مكان، فتذل لله فيما بينك وبينه، ولكن الله يريد تذللك له أمام كل الناس؛ لأجل أن فلانًا أو علانًا الذى تراه فى قوته وجبروته وتعاليه تنمحى من نفسك خشيته أو الخوف منه بعد أن رأيته ساجدًا مثلك ذليلاً ضعيفًا أمام الله.

وفى موسم الحج كذلك يجتمع الوزير مع الخفير والسيد مع العبد، فيستوى الجميع فى العبودية؛ حتى لا يعمل واحد من نفسه إلهًا، وإلا تعدد الشركاء، ففسد الأمور، إنما صلاح الكون لا يكون إلا بوجود إله واحد تأتمر بأمره، فلا تكون سيادة ولا عبودية لأحد على أحد، وإذا كان الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به، فعلينا ما دام الإنسان قد أذنب واستغفر ألا تذكره بذنبه وتعايره به وتجعلها ذلة له؛ لأنه ما دام قد تاب فقد قبل الله توبته؛ لأنه ـ سبحانه ـ هو الذى يملك التوبة ويملك المغفرة، فلماذا تجعله مذنبًا عندك أنت أيها الإنسان؟ فلا تحتقر المسرفين على أنفسهم ولا تجعل لهم أثرًا رجعيا فى الذلة بما ارتكبوه من ذنوب وجرائم تابوا عنها؛ فأنت لست إلهًا، إنما هو الله إله واحد غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

* * *

حكمة الاختيار

*** ما هى الحكمة من جعل الإنسان مختارًا فى طاعته وعصيانه أو كفره وإيمانه؟**

ـ الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حينما خلقنا جعل لنا حرية الاختيار أن نكون مؤمنين أو غير مؤمنين، وجعل مكوناتنا صالحة لأن نفعل الشيء ونقيضه، ولذلك عندما يقول : صَلِّ، فأنت صالح لأن تصلى أو لا تصلى، أو يقول لك: لا تشرب الخمر، فأنت صالح لأن تفعل أو لا تفعل. ومصيبتك الكبرى تنشأ حينما تنقل أمر ربك بافعل إلى منطقة لا تفعل، أو تنقل لا تفعل إلى منطقة افعل، وساعة تركك مختارًا أعطاك المنهج لتلتزم به لتجعل اختيارك دائمًا فى الخير وفى اتجاه الخير، فمثلاً لو أعطاك والدك مبلغًا من المال وترك لك حرية الاختيار فى شراء ما تشاء من السوق، فذهبت واشتريت «ورق لعب» فيغضب والدك؛ لأن هذا فعل غير محبب له، وكذلك الحق ـ سبحانه ـ يغضب حينما جعل لك حرية الاختيار فتختار مخالفة منهجه المحبوب له، فتكون بذلك قد عصيته، ولا تظن أنك بفعلك المعصية قد فعلتها «بفتونة» ولكن «ببجحة» اختيارك الذى هو لك، وقد تسأل: إذن

فلماذا العذاب وقد جعلنا الله مختارين، وإلا فلو شاء لنزع منا حرية الاختيار؟

ذلك لأنك وجهت آلة الاختيار لما هى صالحة له فى غير محبوب الله، فالمكين تستطيع أن تذبح بها دجاجة، وتستطيع أن تذبح بها إنسانًا، فهى أداة جريمة وهى أداة وليمة، وأنت أيها الإنسان الذى له حرية الاختيار لم تفعل إلا من باطن خلق الله لك مختارًا ولكن هل الله ألزمك؟ إنه فقط قال لك: هذا طريق أحبه، وهذا طريق آخر لا أحبه لك، وأنت تختار الشىء النافع فترضى الله، أو تختار الشىء الضار فتغضب الله. والحازم الفاهم هو الذى لا يأخذ حرية الاختيار على إطلاقها ليحقق شهواته؛ لأنه يجب أن يعلم فى النهاية أن الأمر مردود إلى من أعطاه حرية الاختيار ليحاسبه عليه، فتنبه إلى احترام هذا الاختيار وأنه لا إله إلا الله، فلا يوجد إله آخر يتدخل ليقول لك عكس ما قاله الله، بل هو إله واحد، لذلك عندما يقول: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] . فلا أحد قالها ولن يقولها أحد.

والحق حينما يطرح سؤالاً لا يريد أن يجعل القضية خبرية، إنما يريد أن يجعلها من المسئول نفسه؛ لأن الله واثق أن الإجابة وفق ما يريد، وأنه إذا صدق وإذا وعد أو توعد لا يستطيع أى

كائن فى الكون إنسه وجنه أن يجعله يخلف وعده أو وعيده.

ولذلك عندما حكم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ على أبى لهب أنه من أهل النار، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ١ - ٥] ألم يكن من الممكن أن يأتى أبو لهب ويقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يقولها حتى لو نفاقًا، وسيصدقها الناس، ويطعن بذلك فى صحة كتاب الله وصدق رسول الله؟ ولكن أبا لهب لم يقلها قط؛ لأن الله قد حكم بعلمه أن أبا لهب لن يقول: لا إله إلا الله، وأنه لن يأتى إله آخر غيره يجعله يقولها، فإذا ما آمنا يقينًا أن لا إله إلا الله، فيجب أن نؤمن يقينًا أنه سيجمعنا يوم القيامة، فيقول الحق: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ٨٧].

*** ما الذى يريد الحق أن يعلمه الناس حين يؤكد حتمية جمعهم يوم القيامة؟**

ـ حتى يثيب المحسن على إحسانه ويجزى المسىء على إساءته، لذلك فالعاقل لا يترك انفلات نفسه من منهج الله إلا بملاحظة العقاب بمخالفة الله، وإلا فلو انفلت بدون تقدير الجزاء

فهو أحمق، ولذلك فالمسرفون على أنفسهم لا يستحضرون الجزاء على المعصية، وإلا فإنهم لن يفعلوها، لهذا تجد أن كل واحد مجرم مقدر السلامة، والقاتل مقدر السلامة، ولو أخذ فى نفسه أنه سيعدم لن يفعلها.

لذلك فإن قضية جمع الناس يوم القيامة ضرورة.. لماذا؟ لأن يوم القيامة هو آخر مظهر من مظاهر دنيا الناس الذى يوفى الله فيه كل واحد جزاءه، وإلا لو لم يكن هناك يوم القيامة لكان الذين أفسدوا وأشبعوا شهواتهم وفعلوا ما شاء لهم أن يفعلوه بعيدًا عن منهج الله هم الذين فازوا وكسبوا، أما الذين التزموا بمنهج الله ومتطلباته فيكونون قد أخذوا «مقلب» وأخذوا «بمبة».

لذلك فالمنطق يقول ما دام هناك ناس ظلموا أو اعتدوا، هناك أيضًا ناس مُعتدًى عليهم، إذن فلابد من حساب، وكيف يأتى الحساب إلا إذا كانت الحياة ستنتهى؟

ودليل ذلك من الجاحدين أنفسهم، فلنسر وراء منطقهم لنقنعهم بمنطقهم.

نقول أنتم تريدون مجتمعًا غير متدين، وهذا موجود وفيه قوانين تحمى حركة المجتمع، ومن يخالف يعاقبوه، ولكن إذا كان العقاب يمنع المجاهرة بالجريمة فما هو حال من استتر وفعل

الجريمة؟ إذن يبقى الشاطر هو الذى «يتدارى»، فأنتم يا ملحدون عملتم تقنينات جعلتكم تحرسون من تراه عيونكم، ومن استتر أليس فى حاجة إلى شىء آخر لتكشفوه وتعاقبوه وهو الذى نصب عليكم.. فما قولكم؟

إنهم يقفون حائرين، إذن عندما نقول لهم نحن نكمل تفكيركم: إن عميتم عن قضاء الأرض لا تعمون على قضاء السماء. يجب أن تشكرونا؛ لأننا أكملنا نقصًا فى تقنين البشر لحماية البشر من الكيد بالجريمة والستر بالمخالفة، فنصل فى النهاية إلى ضرورة وجود منهج الله والإيمان به والاعتقاد أنه لا إله إلا الله وأن يوم القيامة لا ريب فيه.

* * *

أشرقت شمس الله

*** ما هى متطلبات الإيمان الحقيقى؟**

- يريد الحق أن يجعل قضية الإيمان قضية كلية لا أبعاض لها، فلا يمكن أن تؤمن بالله وتترك الإيمان برسوله أو بكتبه أو برسله أو باليوم الآخر، ولا يمكن أن تأخذ تكليفًا كالصوم وتنكر الزكاة أو الصلاة؛ لأن مقتضى إيمانك كلى لا جزئى، فليس الإيمان بالله وحده يكفى لأن تكون مؤمنًا، لأن مقتضى إيمانك بالله يقتضى رسولاً يعرفك أن هذا الذى خلق الكون وسخره لخدمتك اسمه «الله»؛ لأنك من أين تعرف أنه الله؟ فقد طرأت على هذا الكون المنظم «كإنسان» كان لابد عليه أن يلتفت لفتة ليعلم القوة التى سبقت على هذا الوجود الذى طرأ هو فيه على هذا الكل المتكامل، والبشر ذاتهم يرجعون كل صنعة إلى صانعها ويسلسلون كل شىء إلى أصله، وكل المخترعات موصولة ببعضها البعض.

ومن ينظر إلى هذا المصباح الذى يضىء وينطفئ يجد له تاريخًا ومخترعًا هو «إديسون»، أو لم يفكر أحد فى هذه الشمس

التى لا تنطفئ أبدًا فتنتقل من نصف الكرة الشمالى إلى نصفها الجنوبى دون أن تحترق مثل مصباح صنعه البشر؟!

وتأمل أن شمس الله إذا أشرقت أطفأ كل البشر مصابيحهم مؤمنهم وكافرهم؛ لأن شمس الله قد طلعت، ولينظر كل إنسان لهذا الكون نظرة بعيدة عن الدين، فترى الناس تختلف مقاديرها باختلاف مراكزها وقوتها، فهذا له «حصيرة» يجلس عليها، وآخر له كرسى من خشب، وثالث له كرسى من جلد وعاج، حتى فى وسائل الإضاءة واحد عنده مصباح وآخر عنده لمبة «جاز» وآخر عنده «كلوب». ولما اكتشفوا الكهرباء أصبح واحد عنده مصباح وآخر عنده مصباح «نيون» وثالث عنده «نجفة»، وهكذا فى صنعة البشر يختلف الناس وفق أقدارهم وإمكانياتهم.

ولكن جميع البشر أمام رب البشر سواء فى الاستمتاع بخيره ونعمه، فالكل يستمتع بنور الشمس وحرارتها، والكل يستنشق الهواء فيحيا، والكل يرتوى بالمياه التى خلقها الله، ولكن العجيب أن البشر تركوا المنعم واهب هذا الخير وعبدوا النعمة، فمثلاً ترى قومًا يعبدون الشمس؛ لأنهم وجدوها أقوى ظاهرة أمامهم، فعبدوها. وما هى العبادة؟

العبادة هى طاعة عابد لمعبود، وماذا طلبت الشمس من عابديها؟ وماذا أعدت لمن عبدها أو لمن يعبدها؟ لا شىء، إذن

فإله بلا منهج لا قيمة له، لذلك فالإيمان بالله لا ينفصل عن الذى يقوم بالتبليغ عن الله وهو الرسول.

ولكن لماذا لا يبلغنا الله مباشرة؟ ذلك لأن قدرتنا البشرية لا تحتمل التلقى عن الله مباشرة. وسيدنا موسى - عليه السلام - نفسه لما طلب من الله أن ينظر إليه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فحكم الله أنه لن يراه؛ لعجز قدرة موسى عن احتمال النظر إلى الله، وأخبره أنه سيراه إن استقر الجبل فى مكانه بعد أن يتجلى عليه الحق بأنواره.

ولكن الجبل رغم قدرته وقوة احتماله لم يستطع رؤية الحق - سبحانه - فاندك وانهار من نور الله، فخر موسى صعقًا. وأقرب من هذا فإن الشمس، وهى مخلوقة من مخلوقات الله، هل يستطيع أحد الصبر على النظر إليها فترة طويلة دون أن يصاب بصره؟ لا أحد يقدر، فما بالنا بالخالق سبحانه؟!

لذل فلابد من واسطة بين الله والرسول وهو المَلَكُ جبريل الذى رآه الرسول ﷺ بشكله الحقيقى، فلم يحتمل رؤيته إلا بعد أن تشكل له فى صورة بشرية؛ ليبلغ إليه وحى الله ومنهجه إلى البشر.

ومن خلال هذا المنهج وما به من أوامر ونواهٍ يثبت لنا أن

هناك إلهًا هو الله، أخبرنا عنه رسل الله على مر العصور حينما بعث الله لكل جماعة رسولاً يعالج الداءات فى البيئات المختلفة، ولكن الله يعلم تمام العلم أن علم البشر سوف يأتى بالاختراعات التى تجعل داءات العالم كله واحدة، بحيث ما يحدث فى أمريكا يحدث فى مصر، وتنتقل العادات بسيئاتها إلى كل بلد، فأصبح العالم كله داءاته مشتركة.

لذلك كان لابد أن يكون رسول آخر الزمان وهو محمد ﷺ جامعًا مانعًا؛ لأن العالم لم يعد منعزلاً وداءاته واحدة وأدواؤه كذلك واحدة؛ لذلك كان منهج الإسلام الذى أتى به محمد ﷺ هو عين معجزته بعكس الرسل الذين سبقوه.

ونحن نؤمن بهم جميعًا كجزء من إيماننا الكامل، فكان المنهج الذى أتى به موسى هو التوراة، ومعجزته «العصا» يشق بها البحر أو يلقيها، فتصبح ثعبانًا، أو يضرب بها الحجر، فتنفجر منه عيون يشرب منها قومه. وكان منهج عيسى الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله. وهذه المعجزات لم نشهدها، ولكن أخبرنا بها الله، فنؤمن بها.

أما رسول ﷺ فلأنه آخر الرسل إلى البشر فكان لابد وأن يكون منهجه هو معجزته.. يشاهدها الناس جميعًا حتى قيام الساعة.

منهج الله تعالى

*** كيف نجد القرآن الكريم منهجًا وكتاب معجزة؟**

ـ إننا نجد للقرآن عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه السابق، وإلا لو أفرغ عطاءه الإعجازى فى قرن واحد، لاستقبل القرون الأخرى بغير عطاء، وبذلك يكون قد جمد.

والقرآن متجدد لا يجمد أبدًا؛ لأن الله جعل فيه عطاء لا ينفد لكل جيل، ومعجزة القرآن هى فى أنه يعطى كل عقل على قدر حجمه وفهمه من عصر إلى عصر، فمثلاً عندما يقول الحق: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ [المزمل: ٩] فإن العقل فى زمن سابق لا يرى إلا مشرقًا واحدًا وفى آية أخرى يقول الحق: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧] فناسبت هذه الآية عصرًا عرف فيه الإنسان أن الكرة الأرضية نصفان، فبينما تشرق الشمس فى النصف الشمالى تغرب فى النصف الجنوبى، وبينما تشرق فى النصف الجنوبى تغرب فى النصف الشمالى، فيكون بذلك هناك مشرقان ومغربان. وفى آية ثالثة يقول الحق: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾ [المعارج: ٤٠] فنرى

obeikandl.com

صدق هذه الآية فى عصرنا الحديث الذى تقدم فيه علم الفلك، حيث تبين أنه لا يوجد مشرق واحد ومغرب واحد لكل دولة فى العالم، وإنما هى مشارق ومغارب ،حيث تجد فى كل جزء من الثانية الواحدة مشرقًا تشرق فيه الشمس على مدينة وتغيب عن مدينة أخرى، فهناك ملايين المشارق والمغارب لكل بقعة من الأرض تختلف من يوم إلى يوم ومن فصل إلى فصل؛ بدليل أننا نرى أن الأذان للصلاة يختلف من بلد إلى آخر، وكذلك الإفطار فى رمضان والإمساك له مواعيد تختلف من قطر إلى آخر وفق غروب الشمس وشروقها المختلف من مكان لآخر.

وبذلك تثبت الآيات الكونية صدق الآيات القرآنية، ولا يمكن أن يأتى تعارض بينهما أبدًا؛ لأن خالق الكون هو منزل القرآن الذى تجد حتى الحرف الواحد فيه معجزة، فعندما يقول الحق: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وقد كشف لنا العلم عن الدقة القرآنية فى حرف واحد؛ لأن الإنسان لا يسير «على» الأرض، وإنما يسير «فى» الأرض التي سطحها تحت أقدامه وغلافها الجوى فوق رأسه، فهو يسير فى الأرض لا عليها، إذن فهو كلام رب.

وإذا كان إعجاز القرآن فى أنه لا يتصادم مع العلم كحقيقة قائمة، فإن للقرآن إعجازه الآخر الذى لا يصطدم مع الحاجات

الاجتماعية للبشر فى كل عصر، فما أنزله الله من أحكام شريعته التى عارضها الملحدون والمستشرقون بالأمس يسلمون بها اليوم عندما وجدوا وقائع الحياة تلجئهم إلى أن يعودوا إلى ما قاله الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى قرآنه، لا عودة إلى الحق لأنه الحق، ولكن عودة من ألجأته الحاجة فلم يجد بديلاً عنها، فمثلاً عابوا على الإسلام الطلاق، ولكنهم اكتشفوا أن تحريم الطلاق عندهم يجعل الرجال يخونون زوجاتهم ويعيشون مع غيرهن فى الحرام، فكثرت الانحرافات والأمراض، فأباحوا الطلاق، فماذا يعنى هذا؟

هذا يعنى أن منهج الإسلام يظهر على الدين كله كما قال الحق: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [الفتح: ٢٨] . وليس معنى كما فسرها البعض أن كل الناس سيكونون مسلمين، ولكن معناها أن ما شرعه الله وابتعد عنه البشر بقوانينهم سوف يعودون إليه مضطرين بالظروف التى أثبتت لهم حمق أنفسهم؛ لأنه من غير المقصود أن بشرًا يشرع لبشر؛ لأن الأهواء حتمًا سوف تتدخل، ولكن الحق لا هوى له، فهو خالقك أيها الإنسان، ومن خلقك هو أدرى بأمراضك، وهو كذلك أدرى بعلاج تلك الأمراض؛ لأن صاحب الصنعة هو الذى يضع لها قوانين صيانتها، فلا يمكن مثلاً أن ترى

«طبيبًا» يقوم بعمل «الجزار»، فلكل صنعته ولكل اختصاصه، فكيف يحاول البشر أن يشرعوا لأنفسهم بقوانين تعالج أمراضهم وانحرافاتهم وهم بشر ناقصون؟! لأنهم لم يخلقوا أنفسهم ليشرعوا لأنفسهم، ومن هنا نجد كثرة تغييرهم لكل ما يشرعون من قوانين، والله الحق يدعونا إلى الأخذ بمنهجه، وهو لا يريد من البشر جزاء، ولا شكورًا، إن آمنوا به وأخذوا بمنهجه وطبقوه، مما يزيدهم هدى يصلح أحوالهم، ولن يزيد هذا فى ملكه شيئًا، فلا شيء من طاعة يعود على الله بنفع وكذلك لا شيء من معصية أو كفر يعود على الله بضرر.

فكل طاعة عائدة لنا لخير دنيانا وآخرتنا، وكل معصية تعود علينا خسرانًا فى الدنيا والآخرة، ولكن الحق ـ سبحانه ـ يحب لنا الخير ويريد لنا السلامة بالطاعة.

* * *